



229780 - هل السجود والركوع على سبيل التحية من الشرك؟

السؤال

قرأت في أحد المواقع أن السجود لغير الله اذا كان على وجه التحية كفر وشرك ؛ لأن السجود عبادة لا يجوز صرفها لغير الله، فهل هذا صحيح ؟

ملخص الإجابة

وتلخيص جميع ما سبق: أن السجود لغير الله لا يكون كفرا إلا إذا فعل على وجه العبادة ، وأما إذا كان على سبيل التحية فهو من كبائر الذنوب ، وليس كفراً .

والله أعلم .

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولاً :

السجود – ومثله الانحناء والركوع – نوعان :
الأول: سجود عبادة .

وهذا النوع من السجود يكون على وجه الخضوع والتذلل والتعبد ، ولا يكون إلا لله سبحانه وتعالى ، ومن سجد لغير الله على وجه العبادة : فقد وقع في الشرك الأكبر .

الثاني : سجود تحية .

وهذا النوع من السجود : يكون على سبيل التحية والتقدير والتكريم للشخص المسجود له.
وقد كان هذا السجود مباحاً في بعض الشرائع السابقة للإسلام ، ثم جاء الإسلام بتحريمه ومنعه.
فمن سجد لمخلوق على وجه التحية فقد فعل محظياً ، إلا أنه لم يقع في الشرك أو الكفر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " السُّجُودُ عَلَى ضَرِبَيْنِ : سُجُودٌ عِبَادَةٌ مَحْضَةٌ ، وَسُجُودٌ تَشْرِيفٌ ، فَأَمَّا الْأَوَّلُ فَلَا يَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ ".
انتهى من "مجموع الفتاوى" (4/361).

وقال : " وَأَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ السُّجُودَ لِغَيْرِ اللَّهِ مُحَرَّمٌ ". انتهى من "مجموع الفتاوى" (4/358).
وقال : " إِنَّ نَصْوَصَ السَّنَةِ ، وَإِجْمَاعَ الْأُمَّةِ : تُحرِّمُ السُّجُودَ لِغَيْرِ اللَّهِ فِي شَرِيعَتِنَا ، تَحِيَّةً أَوْ عِبَادَةً ، كَنْهِيهِ لِمَعاذِ بْنِ جَبَلَ أَنْ يَسْجُدَ لِمَا قَدَمَ مِنَ الشَّامِ وَسَجَدَ لَهُ سَجْدَةً تَحِيَّةً ".
انتهى من "جامع المسائل" (1/25).

وقال القرطبي : " وَهَذَا السُّجُودُ الْمُنْهَيُّ عَنْهُ : قَدِ اتَّخَذَهُ جُهَالُ الْمُتَصَوِّفَةِ عَادَةً فِي سَمَاعِهِمْ ، وَعِنْدَ دُخُولِهِمْ عَلَى مَشَايِخِهِمْ وَاسْتِغْفَارِهِمْ ، فَيُرَى الْوَاحِدُ مِنْهُمْ إِذَا أَخَذَهُ الْحَالُ بِزَعْمِهِ . يَسْجُدُ لِلْأَقْدَامِ ، لِجَهَلِهِ ؛ سَوَاءً أَكَانَ لِلْقَبْلَةِ أَمْ غَيْرَهَا ، جَهَالَةً مِنْهُ ، ضَلَّ سَعِيهِمْ وَخَابَ عَمَلُهُمْ ". انتهى من "تفسير القرطبي" (1/294).
ثانياً :

وأما القول بأن السجود لغير الله شرك مطلقاً، لأن مطلق السجود عبادة لا تصرف لغير الله، فقول ضعيف، ويدل على ذلك :
1-أن الله أمر الملائكة بالسجود لآدم، ولو كان مجرد السجود شركاً لما أمرهم الله بذلك.

قال الطبرى : " (فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ) : سُجُودٌ تَحِيَّةٌ وَتَكْرِمَةٌ ، لَا سُجُودٌ عِبَادَةٌ ".
انتهى من "جامع البيان" (14/65).

وقال ابن العربي : " أَتَفَقَتِ الْأُمَّةُ عَلَى أَنَّ السُّجُودَ لِآدَمَ ، لَمْ يَكُنْ سُجُودٌ عِبَادَةً ".
انتهى من "أحكام القرآن" (1/27).

وقال ابن حزم الظاهري : " وَلَا خَلَفَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فِي أَنَّ سُجُودَهُمْ لِلَّهِ تَعَالَى سُجُودٌ عِبَادَةٌ ، وَلَا دَمْ سُجُودٌ تَحِيَّةٌ وَإِكْرَامٌ ". انتهى من "الفصل في الملل والأهواء والنحل" (2/129).

2- أن الله أخبرنا عن سجود يعقوب وبنيه ليوسف عليه السلام، ولو كان شركاً لما فعله أنبياء الله.
ولا يقال هنا : إن هذا من شريعة من قبلنا، فإن الشرك لم يبح في شريعة قط، فالتوحيد لم تتغير تعاليمه وشرائعه منذ آدم إلى نبينا محمد عليهم الصلاة والسلام.

قال الطبرى : " قَالَ أَبْنُ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ : (وَخَرُوا لَهُ سُجَّداً) : ذَلِكَ السُّجُودُ تَشْرِفَةً ، كَمَا سَجَدَتِ الْمَلَائِكَةُ لِآدَمَ تَشْرِفَةً ، لَيْسَ بِسُجُودٍ عِبَادَةً ".
وَإِنَّمَا عَنِي مَنْ نَذَرَ بِقَوْلِهِ : إِنَّ السُّجُودَ كَانَ تَحِيَّةً بَيْنَهُمْ ، أَنَّ ذَلِكَ كَانَ مِنْهُمْ عَلَى الْخُلُقِ ، لَا عَلَى وَجْهِ الْعِبَادَةِ مِنْ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ ، وَمِمَّا يَدْلُلُ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَزَلْ مِنْ أَخْلَاقِ النَّاسِ قَدِيمًا ، عَلَى غَيْرِ وَجْهِ الْعِبَادَةِ مِنْ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ ، قَوْلُ أَعْشَى بَنِي ثَعلَبَةَ : قَلَّمَا أَتَانَا بُعَيْدَ الْكَرَى ** سَجَدْنَا لَهُ وَرَفَعْنَا الْعَمَارًا " انتهى من "جامع البيان" (13/356).

وقال ابن كثير : " وَقَدْ كَانَ هَذَا سَائِغاً فِي شَرَائِعِهِمْ ؛ إِذَا سَلَّمُوا عَلَى الْكَبِيرِ يَسْجُدُونَ لَهُ ، وَلَمْ يَزَلْ هَذَا جَائزًا مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى شَرِيعَةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَهُرِمَ هَذَا فِي هَذِهِ الْمِلَّةِ ، وَجُعِلَ السُّجُودُ مُخْتَصًا بِجَنَابِ الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى " انتهى من "تفسير القرآن العظيم" (4/412).

وقال القاسمي: "الذى لا شك فيه أنه لم يكن سجود عبادة ولا تذلل ، وإنما كان سجود كرامة فقط ؛ بلا شك" انتهى من "محاسن التأويل" (6/250).

3-أن معاذًا سجد للنبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من الشام، ولو كان شركاً لبين له النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ، وقصاري ما في الأمر أنه بين له عدم جواز السجود له .

فعن عبد الله بن أبي أوفى ، قال : "لَمَا قَدِمَ مُعاذًا مِنَ الشَّامِ سَجَدَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: (مَا هَذَا يَا مُعاذُ؟) ، قَالَ: أَتَيْتُ الشَّامَ فَوَاقْفَتُهُمْ يَسْجُدُونَ لِأَسَاقِفَتِهِمْ وَبِطَارِقَتِهِمْ ، فَوَدِبْتُ فِي نَفْسِي أَنْ نَفْعَلْ ذَلِكَ بِكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (فَلَا تَفْعَلُوا، فَإِنِّي لَوْ كُنْتُ أَمِرَّاً أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِغَيْرِ اللَّهِ ، لَأَمْرَتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا تُؤْدِي الْمَرْأَةُ حَقَّ رِبِّهَا حَتَّى تُؤْدِيَ حَقَّ زَوْجِهَا) رواه ابن ماجه (1853) وحسنه الألباني.

قال شيخ الإسلام : " وَمَعْلُومٌ أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ: لَوْ كُنْتُ أَمِرَّاً أَحَدًا أَنْ يَعْبُدْ ".

انتهى من "مجموع الفتاوى" (4/360).

وقال الذهبي : "ألا ترى الصحابة في فرط حبهم للنبي صلى الله عليه وسلم ، قالوا ألا نسجد لك ، فقال: لا ، فلو أذن لهم لسجدوا له سجود إجلال وتقدير ، لا سجود عبادة ، كما قد سجد إخوة يوسف عليه السلام ليوسف . وكذلك القول في سجود المسلم لقبر النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل التعظيم والتبجيل : لا يكفر به أصلاً ، بل يكون عاصياً ، فليعرّف أن هذا منهي عنه ، وكذلك الصلاة إلى القبر".

انتهى من "معجم الشيوخ الكبير" (1/73).

4- أنه ثبت في بعض الأحاديث سجود بعض البهائم للنبي صلى الله عليه وسلم ، ولو كان مجرد السجود شركاً لما حصل هذا في حق النبي صلى الله عليه وسلم .

قال شيخ الإسلام : " وَقَدْ كَانَتْ الْبَهَائِمُ تَسْجُدُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَالْبَهَائِمُ لَا تَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ ، فَكَيْفَ يُقَالُ : يُلَزِّمُ مِنِ السُّجُودِ لِشَيْءٍ عِبَادَتُهُ؟!" انتهى من "مجموع الفتاوى" (4/360).

5-أن "السجود المجرد" من الأحكام التشريعية التي قد يتغير حكمها من شريعة لأخرى ، بخلاف أمور التوحيد التي تقوم بالقلب ؛ فهي ثابتة لا تتغير.

قال شيخ الإسلام : "أَمَّا الْخُضُوعُ وَالْقُنُوتُ بِالْقُلُوبِ ، وَالاعْتِرَافُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَالْعُبُودِيَّةِ : فَهَذَا لَا يَكُونُ عَلَى الإِطْلَاقِ إِلَّا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَحْدَهُ ، وَهُوَ فِي غَيْرِهِ مُمْتَنَعٌ بِاطِّلُ".

وَأَمَّا السُّجُودُ : فَشَرِيعَةُ مِنْ الشَّرَائِعِ ؛ إِذْ أَمَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى أَنْ نَسْجُدْ لَهُ ، وَلَوْ أَمَرَنَا أَنْ نَسْجُدْ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ غَيْرِهِ : لَسَجَدْنَا لِذَلِكَ الْغَيْرِ ، طَاعَةً لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، إِذْ أَحَبَّ أَنْ نُعَظِّمَ مَنْ سَجَدْنَا لَهُ.. وَلَوْ لَمْ يَفْرَضْ عَلَيْنَا السُّجُودَ لَمْ يَجِبْ أَبْلَتَهُ فِعْلُهُ .

فَسُجُودُ الْمَلَائِكَةِ لِآدَمَ : عِبَادَةُ اللَّهِ ، وَطَاعَةُ لَهُ وَقُرْبَةُ يَنْقَرِبُونَ بِهَا إِلَيْهِ ، وَهُوَ لَآدَمَ تَشْرِيفٌ وَتَكْرِيمٌ وَتَعْظِيمٌ.

وَسُجُودُ إِخْوَةِ يُوسُفَ لَهُ : تَحِيَّةٌ وَسَلَامٌ ؛ أَلَا تَرَى أَنَّ يُوسُفَ لَوْ سَجَدَ لِأَبْوَيِهِ تَحِيَّةً ، لَمْ يُكْرَهْ لَهُ". انتهى من "مجموع الفتاوى" (4/360).

6-أن التفريق بين سجود التحية وسجود العبادة هو ما عليه جمهور العلماء من مختلف المذاهب.



قال فخر الدين الزيلعي: "وما يفعلون من تقبيل الأرض بين يدي العلماء: فحرام، والفاعل والراضي به: آثمان؛ لأنّه يُشبّه عبادة الوثن".

وذكر الصدر الشهيد: "أنه لا يكفر بهذا السجود؛ لأنّه يريد به التحية".

انتهى من "تبين الحقائق" (6/25).

وقال ابن نجم الحنفي: "والسجود للجبار: كفر، إن أراد به العبادة؛ لا إن أراد به التحية، على قول الأكثرين" انتهى من "البحر الرائق" (5/134).

وقال النووي: "ما يفعله كثير من الجهلة من السجود بين يدي المشايخ.. ذلك حرام قطعاً، بكل حال، سواء كان إلى القبلة أو غيرها، وسواء قصد السجود لله تعالى، أو غفل، وفي بعض صوره ما يقتضي الكفر، أو يقاربه، عافانا الله الكريم".
انتهى من "المجموع شرح المذهب" (4/69).

وقال شهاب الدين الرملي: " مجرد السجود بين يدي المشايخ: لا يقتضي تعظيم الشیخ کتعظیم الله عز وجل، بحیث یکون معبوداً، والکفر إنما یکون إذا قصد ذلك".

انتهى من "نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج" (1/122).

وقال الرحيباني: "السجود للحكام والمؤتمن بقصد العبادة: كفر، قوله واحداً، باتفاق المسلمين.
والتحية لمخلوق بالسجود له: كبيرة من الكبائر العظام".
انتهى من "مطالب أولى النهى" (6/278).

وقال الشوكاني: "فلا بد من تقييده بأن يكون سجوده هذا قاصداً لربوبية من سجد له، فإنه بهذا السجود قد أشرك بالله عز وجل، وأثبت معه إلها آخر".

وأما إذا لم يقصد إلا مجرد التعظيم، كما يقع كثيراً لمن دخل على ملوك الأعاجم: أنه يقبل الأرض تعظيمها له، فليس هذا من الكفر في شيء، وقد علم كل من كان من الأعلام، أن التكفير بالإلزام، من أعظم مزالق الأقدام؛ فمن أراد المخاطرة بدينه، فعلى نفسه تجنّى".

انتهى من "السيل الجرار" (4/580).

وقال الشيخ محمد بن إبراهيم: "الانحناء عند السلام حرام، إذا قصد به التحية، وأما إن قصد به العبادة فكفر". انتهى من "فتاوي ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ" (1/109).

وقال الشيخ عبد العزيز عبد اللطيف: "فمن المعلوم أن سجود العبادة، القائم على الخضوع والذل والتسليم والإجلال لله وحده: هو من التوحيد الذي اتفقت عليه دعوة الرسل، وإن صرف لغيره فهو شرك وتنديد".

ولكن لو سجد أحدهم لأب أو عالم ونحوهما، وقصده التحية والإكرام: فهذه من المحرمات التي دون الشرك، أما إن قصد الخضوع والقربة والذل له فهذا من الشرك".

انتهى من "نواقض الإيمان القولية والعملية" (ص: 278).

وينظر جواب السؤال: (8492).